فهاج حبيب قهوجي غاضباً، واندفع نحو اميل حبيبي؛ الا اننا فصلنا بينهما. وتوجهت انا الى اميل حبيبي، وقلت له: «اذا حدث وعدنا للتحالف سوية مرة ثانية، فاننا لن نرفض ذلك، ولكننا، بالتأكيد، سنرفض التحدث مع اميل حبيبي، مهما كانت الظروف. اننا سنتحاور مع الحزب، ولكننا لن نقبل بك محاوراً، ولن نتحاور معك». وبالفعل، بعد سنوات عدنا، ولاسباب عديدة، وفي مجالات محددة، للتعاون مع الحزب الشيوعي، ولكن لم يكن اجتماعنا معهم ابداً ممثلاً باميل حبيبي.

ان انسحابنا من الجبهة الشعبية قد ترك آثاره السلبية في اوساط الحزب الشيوعي. ففي العام ١٩٥٩، دخل الحزب معركة انتخابات الكنيست، ونزل مستواه التمثيلي من ست اعضاء الى ثلاثة اعضاء.

بعد ذلك، عاد الحزب للتعاون معنا، وكوّنا، معاً، اللجنة العربية ـ اليهودية لمقاومة الحكم العسكري، واللجنة العربية لمقاومة مصادرة الاراضي. بمعنى، ان التعاون مع الحزب الشيوعي قد استمر في اعلى مراحل خلافنا. لكن اميل حبيبي لم يمثل، ابداً، في الجلسات المشتركة. اننا لا نتنكر لدور الحزب، ونحن نعترف بفضل الحزب الشيوعي علينا كقوى وطنية. فقد تعارفنا كرموز للحركة الوطنية، تحت مظلة الحزب، وعملنا تحت هذه المظلة وكسبنا قاعدة جماهيرية. ومن خلال العمل معه، اكتسبنا خبرة في العمل الجماهيري. كما اننا لا ننكر، ابداً، مواقف الحزب الصلبة في الدفاع عن مصالح الجماهير في الداخل، وبشكل يومي. ولكننا نختلف مع الحزب الشيوعي في موقفه من القضية الفلسطينية، وفي عدد آخر من القضايا. فبأي حق يفترض الشيوعيون ان جميع المجتمع الفلسطيني يجب ان يكون متماثلاً مع مواقفهم. ان الحزب الشيوعي السوفياتي نفسه لم يصل الى هذه المرحلة بعد. فما زالت في الاتحاد السوفياتي اعداد كبيرة من المسلمين، والمسيحيين، والطوائف العديدة، ومتدينين وغير شيوعيين. فكيف يفترض الحزب، عندنا، ان تسير الامور بهذه السرعة في فلسطين وحسب اهوائهم ؟ اننا، باختصار، نرى ان الواقعية التي يطالبنا بها الحزب تعني، بالنسبة الينا، دراسة الواقع من اجل تغيير ما هو سلبي فيه، وليس دراسة امكانية الحياة والتعايش مع سلبيات الواقع، كما يرى الحزب الشيوعي.

«حركة الارض»

تحدثت حتى الآن عن مرحلتين من مراحل النضال الفلسطيني للعرب داخل اسرائيل: المرحلة الاولى، عندما لم تكن هناك قيادات، ثم بداية بروز هذه القيادات من خلال النضال اليومي، دون ان تكون هناك صلات فيما بينها. والمرحلة الثانية، عندما بدأت هذه القيادات العمل تحت مظلة الحزب الشيوعي، وضمن اطار الجبهة الشعبية، حيث بدأت القيادات الوطنية ـ غير الشيوعية ـ تتعرف على بعضها البعض.

أما المرحلة الثالثة، فقد جاءت بعد انقسام الجبهة الشعبية والاختلاف مع الشيوعيين مباشرة؛ حيث بدأت المشاورات للبدء بعمل منظم من المنطلق القومي. وعقدنا اجتماعاً تشاورياً (تأسيسياً) في الناصرة للبحث في الخطوة التالية. وشاركت فيه نحو خمسين شخصية. وكان، قبل ذلك، اتخذ قرار بضرورة اقامة تنظيم سياسي، او حركة سياسية، على المستوى القطري، وتقرر ان يكون اسم الحركة «الارض»، تعبيراً عن الارتباط بالارض، وكرمز للتمسك بوطننا. وتقرر التقدم بطلب للحصول على ترخيص لاصدار صحيفة لهذه الحركة لتكون وسيلة ايصال آرائنا ومواقفنا القومية الى الجماهير. واصدر المجتمعون بياناً تضمن القرارات التي اتخذت. ودعا البيان كل المعنيين الى الاتصال بعنوان معين في الناصرة، أو حيفا، من اجل التشاور لبدء العمل في تطبيق القرارات. وبدأت الاتصالات، وتمت عدة لقاءات. تساقط قسم من الخمسين، وبزغت اسماء جديدة. ومن خلال المشاورات والعمل، تبلورت قيادة معينة اخذت على عاتقها مهمة وضع دستور للحركة من اجل تنظيم العمل واقامة فروع وخلايا في المناطق المحتلة.

اننا لم نترك الامور تجري بصورة عفوية، بل بدأنا بتنظيم الاجتماعات في مناطق مختلفة وبواسطة اشخاص معروفين بمواقفهم الوطنية. كنا نتصل بهم ونطلب منهم ترتيب لقاء مع اشخاص لديهم الاستعداد للعمل من اجل مصلحة شعبهم. وكنا ننتقل من مكان الى آخر لهذه المهمة. قسم من الذين كنا نتصل بهم كان يعلن انتسابه مباشرة، وقسم كان يقول: دعني افكر، وقسم لم يبد أي